حكايةُ السُّفُن عَبْر ألف عامٍ على طريق الحَرير البحْرِي

سِجِلَّاتُ الأُدباء الصِّينِيِّين والأجانب

كتابٌ مُصوَّرٌ مَوسوعيٌّ للأطفال عن التَّاريخ والثَّقافة البحريَّة

حقوق النَّشر – سجلُّ التَّبادلات بين الصين والعالم
بيانات الفهرسة أثناء النَّشر (CIP)
سِجِلَّاتُ الأُدباء الصِّينِيِّين والأجانب عبر الرِّحلات البحريَّة / بإشراف المَتحف البحري الصِّيني في شنغهاي؛ وإعداد شركة تونغتشيو للنَّشر المحدودة. — بكين: دار الشَّعب للبريد والاتصالات، 2025م.
(حكايات «السُّفن» عبر ألف عامٍ على طريق الحرير البحري: موسوعة مصوَّرة للأطفال عن تاريخ الملاحة وثقافتها)
الرَّقم الدَّولي المعياري للكتاب: ISBN 978-614-495-730-1

رئيس التَّحرير: المَتحف البحري الصِّيني في شنغهاي
المحرِّرة المسؤولة: قوه دان دان
مسؤول الطِّباعة: شاو تشاو
تصميم الغلاف: هان مو هوا
الإخراج والتَّنسيق: شركة قوآن تشو بي يوان للثَّقافة والإعلام المحدودة
الإعداد: شركة تونغتشيو للنَّشر المحدودة
النَّاشر: دار الشَّعب للبريد والاتصالات
النسخة العربية: شركة المستقبل الرقمي

جميع الحقوق محفوظة، وتُلاحَق قانونيًّا أيُّ مخالفةٍ لحقوق النَّشر.

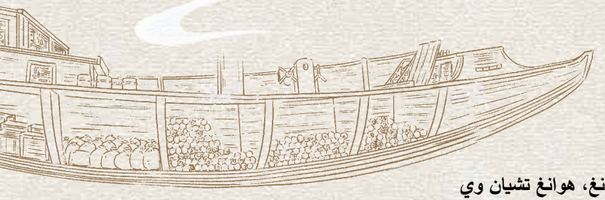

هيئة التَّحرير

المستشار: قاو منغ خه
الرَّئيس: تشاو فنغ
نائبا الرَّئيس: تسونغ جيان قوه، وانغ يو، لو وي، فو شياو
أعضاء هيئة التَّحرير: تسنغ لينغ سونغ، تشي يو قوه، شن تشيانغ، هوانغ تشيان وي

الكتَّاب:

يو يان يان، تشو شو، تشو تيان، وانغ لينغ لين، تشن شيويه بينغ، سونغ كاي، بان دونغ يان، ليو دان دان، يانغ يانغ، شياو جيه، لو جيا يو، تشانغ دو دو، جيانغ بو رن، تشو بين بينغ، جيانغ شياو هان، تشو مين، دونغ ني، دو لي يه.

لجنة النَّشر

الرَّئيس: لي ون
نوَّاب الرَّئيس: ما جيا، شي يان، ليو يو يي

الأعضاء:

تشو شيو، داي دونغ مي، تشي جي، تشاو تشيان، سونغ فاي، رِن لي شين، قوه دان دان، تشاو شياو نا، شين تشن يي، تشنغ منغ يو، وانغ خه، هو هوي، لي ياو، وانغ بينغ، تشانغ فانغ، شانغ شيويه مين، سونغ جوان، وو مين، شاو جيان نان، يه منغ جيا، تشاو يو هوا، وانغ تشوي تسه، وانغ يويه جينغ.

شكر وتقدير

اللَّجنة المتخصِّصة في نشر التُّراث الثَّقافي التَّابعة للجمعيَّة الصِّينيَّة للآثار الثَّقافيَّة.
مجموعة الصِّين للشَّحن البحري عبر المحيطات المحدودة.

المقدِّمة

تغطِّي المحيطات والبحار حوالي 70% من سطح كوكب الأرض؛ فهي مهدُ الحياة، والسَّبيل الأهم للبشريَّة لتوسيع آفاق العيشِ وتعزيز التَّواصل والتَّبادل بين الشُّعوب، وإن استكشاف الأُمَّة الصِّينيَّة للبحار يضرب بجذوره في أعماق التَّاريخ، حيث امتدَّ مسار تطوُّر صناعة بناء السُّفن في الصِّين القديمة لآلاف السِّنين، حاملًا بين طياتِّه فيضًا من الحكمة والأساطير الخالدة.

ومع مرور الزَّمان، دعونا نعود إلى العصور السَّحيقة قبل نحو 8000 عام، في ذلك الوقت، احتضنت تلك الأرض الشَّاسعة والمليئة بالحيويَّة عند المجرى السُّفلي لنهر اليانغتسي ثقافة (كواهوتشياو) الفريدة من نوعها، وفي قلب هذا الموقع الثَّقافي الغامِض، ظهر كشف أثري عظيم أذهل العالم ـــ قارِب "كانو" (جذع مجوف) سليم ومكتمل! ويُعدُّ هذا القارِب أحد أقدم الشَّواهد المكتشَفة في تاريخ البشريَّة على المِلاحة البحريَّة المبكِّرة، ليروي في صمتٍ قصة شغف إنسان ذلك العصر البعيد واستكشافه للأنهار والبحار.

منذ عهد سلالتي "تشين" و"هان"، انطلقت صناعة بناء السُّفن الصِّينيَّة القديمة في مسيرة تطوُّر وازدهار حثيثة، بمرحلتين تاريخيَّتَين عاصفتين، في عهد سلالات "سوي" و"تانغ" ثمَّ "سونغ" و"يوان"، حيث شهدت تقنيات بناء السُّفن ارتقاء وتطورًا مستمرًا، وصولًا إلى عهد سلالة "مينغ"، بلغت هذه الصِّناعة ذروة مجدها وأوَّج ازدهارها، وتشكَّلت منظومة إدارة صارمة، معياريَّة وفعَّالة لبناء السُّفن، وتزامن مع ذلك قفزة نوعيَّة في تكنولوجيا الحِرف اليدويَّة لبناء السُّفن، لتصلَ إلى مكانةٍ غير مسبوقة في العالم آنذاك، ومن هذا المنطلق، قاد القائد البحري "تشنغ خه" أسطولًا بحريًّا ضخمًا ومهيبًا، مجتازًا المحيطات سبع مرَّات في ملحمة تاريخيَّة خطَّت فصلًا استثنائيًا بمداد من ذهب في تاريخ المِلاحة الصِّينيَّة القديمة.

وتخليدًا لإنجازات "تشنغ خه" العظيمة في رحلاته البحريَّة، وبموافقةٍ من مجلس الدَّولة الصِّيني، قامت وزارة النَّقل بالتَّعاون مع حكومة بلديَّة شانغهاي بتأسيس أول مُتحف بحري على مستوى الدَّولة في بلادنا ـــ "مُتحف شانغهاي البحري الصِّيني"، يهدف المُتحف إلى إحياء الحضارة البحريَّة المجيدة والتَّقاليد العريقة للأُمَّة الصِّينيَّة، وبناء منصة للتَّبادل المِلاحي محليًّا ودوليًّا، وإيجاد أجواء ثقافيَّة متميِّزة تدعم مركز شانغهاي الدَّولي للشَّحن، فضلًا عن غرس حب العمل المِلاحي في نفوس الشَّباب والأجيال النَّاشئة، ولا يقتصر الأمر على تتبُّع حضارتنا البحريَّة العريقة فحسب، بل يمكننا أيضًا معايشة التَّقدم الهائل في علوم وتكنولوجيا المِلاحة من الماضي إلى الحاضر، لنفتح معًا صفحات التَّاريخ لنهضة الأُمَّة الصِّينيَّة وقوتها المتنامية عبر البحار.

يوافق عام 2025م الذِّكرى السَّنويَّة الـ 620 لرحلات "تشنغ خه" البحريَّة، وابتهاجًا بهذه المناسبة، تعاون "مُتحف شانغهاي البحري الصِّيني" مع

"شركة دونغ تشو للنَّشر المحدودة"، وبدعمٍ كريمٍ من "شركة الصِّين لخدمات الشَّحن المحيطي المحدودة" (COSCO Shipping)، لإطلاق هذه المجموعة الموسيقيَّة المشتركة: "حكاية السَّفينة عبر الألف عام: في ركاب طريق الحرير البحري ـــ موسوعة مصوَّرة للأطفال عن تاريخ وثقافة المِلاحة البحريَّة"، تضمُّ هذه المجموعة أربعة مجلَّدات، تتناول المِلاحة البحريَّة في نهر التَّاريخ الصِّيني العظيم عبر أربعة محاور: بناء السُّفن، البعثات الدِّبلوماسيَّة، تكنولوجيا المِلاحة، والتَّبادلات التَّاريخيَّة، وتُجسد هذه الموسوعة تلك اليد الصَّديقة والممتدَّة الَّتي مدَّتها الأُمَّة الصِّينيَّة نحو العالم عبر المحيطات على نطاق واسع بعد طريق الحرير البرِّي؛ كما أنَّها شاهد على إرادة الصِّينيين وحكمتهم، وتفوقهم العالمي في تكنولوجيا المِلاحة عبر آلاف الأميال البحريَّة، وتُعبر عن روح المِلاحة الباسلة وقوتها الهائلة المتدفِّقة، إنَّ ظلال تلك الأشرعة ستفتح للقرَّاء الصِّغار نوافذ لا حصر لها لاستكشاف عالم البحار.

وأتوجَّه بخالص الشُّكر والتَّقدير لجميع الكتَّاب والرَّسامين الَّذين شاركوا في إبداع هذا العمل؛ فبفضل أقلامهم البارعة ولمساتهم السَّاحرة، دبَّت الحياة مجددًا في حكايا المِلاحة القديمة، لتنتظر قرَّاءنا الصِّغار لينطلقوا في رحلة تتأثر بها القلوب.

أمنياتنا لكل طفل يفتح صفحات هذه الموسوعة المصوَّرة، أن يتحوَّل إلى ملَّاح صغير، يجد فيها معجزته الخاصَّة وسعادته، ويستمدُّ منها القوَّة ليمضي قُدمًا، يشقُّ الأمواج ويرفع الأشرعة في رحلة حياته المقبلة!

مُتحف شانغهاي البحري الصِّيني

سُفن التَّتويج في طريق العودة

احتلَّت تكنولوجيا بناء السُّفن والمِلاحة الصِّينيَّة في عهد أسرة مينغ الصَّدارة عالميًا، حيث لم تقتصر على الرِّحلات البحريَّة السَّبع (لتشنغ خه) فحسب، بل أسَّست أيضًا نظامًا للتَّتويج وراء البحار، وأرسلت مرارًا مبعوثين إلى الدُّول التَّابعة، ولم تُظهر هذه الإجراءات هيبة أسرة مينغ وثقتها بنفسها فقط، بل دفعت بقوة نحو ازدهار طريق الحرير البحري، وعزَّزت التَّبادل العميق في مجالات الثَّقافة والتِّجارة بين الصِّين والدُّول الأخرى.

وفي العام الثَّالث عشر من حكم جيا جينغ 1534م، أرسل البلاط الإمبراطوري (تشن كان) مبعوثًا للتَّتويج إلى مملكة ريوكيو لإجراء الطُّقوس، وبعد إقامة البعثة هناك لعدَّة أشهر، وانتظار تغيُّر اتِّجاه الرِّياح الموسميَّة، أبحرت سُفن التَّتويج رافعة شراعها في طريق العودة إلى الوطن.

خُيول ريوكيو
تتميَّز خيول ريوكيو بقوائم قويَّة وخطوات ثابتة، وقدرة ممتازة على تحمُّل الأوزان، وكانت الخيول في مملكة ريوكيو رمزًا للثَّروة والسُّلطة، ووفقًا لما ورد في (سجلَّات مينغ الحقيقيَّة)، واصلت مملكة ريوكيو تقديم الخيول كجزية لبلاط أسرة مينغ منذ عهد هونغ وو.
خنجر الخَضر
ليس الكبريت مجرَّد معدن عادي، بل هو مادَّة خام رئيسيَّة لصناعة البارود في العصور القديمة، ورغم أنَّ أراضي أسرة مينغ كانت تُنتج الكبريت، إلَّا أنَّ مملكة ريوكيو امتلكت مناجم كبريت طبيعيَّة تتميَّز بنقاء عالي وشوائب قليلة، لذلك كان بلاط مينغ يعتبره من الإمدادات العسكريَّة الفاخرة.
الكبريت
التَّوابل
8
منتجات ريوكيو المحليَّة وهدايا الجزية
قبل رحلة العودة، رفض (تشن كان) بلُطف الهدايا الثَّمينة من الذَّهب والفِضَّة المقدَّمَة من ملك ريوكيو، ولكن تعبيرًا عن الصَّداقة، اختار بعناية بعض المنتجات المحليَّة وهدايا الجزية ليفحصها ويأخذها معه إلى الوطن، وها هو الخادم الصَّغير الذَّكي شياو هاي مشغول بنشاط في جرْد وتسجيل المواد المختلفة.
وأمام مظهر الخادم الجادّ، لم يملك (تشن كان) إلَّا أنَّ يسأله: شياو هاي، أيُّ من منتجات ريوكيو هذه تعجبك أكثر؟
فأجاب شياو هاي دون تفكير: بالتَّأكيد كعك تشينسوكو، إنَّ الحلويات والمعجَّنات في مملكة ريوكيو هي الألذ، يا سيِّد تشن، انظر إلى كعك تشينسوكو هذا، إنه مصنوع من دقيق القمح والسُّكر، وقضم واحدة منه تعطي طعمًا مقرمشًا وحلوًا، ومن يذوقه مرة لا ينساه أبدا!
قصبُ السُّكر
شياو هاي
تشن كان
كعك تشينسوكو
يُعرف أيضًا باسم (تشن تشو غاو) وقد بدأ طُهاة البلاط الملكي في ريوكيو بصناعة هذا النَّوع من المعجَّنات منذ القرن الخامس عشر، ويمكننا تسميته بـ (الكوكيز) بنسخته الريوكيويَّة.
أواني ريوكيو الخزفيَّة المطليَّة باللَّاك
اتَّبعت أواني اللَّاك في ريوكيو بشكلٍ أساسي تقنيات الحفر على اللَّاك الَّتي كانت سائدة في عهد أسرة مينغ، حيث اعتمدت بشكل رئيسي على اللَّونين الأحمر القاني والأسود، وتزيَّنت بنقوش تقليديَّة مثل (تنانين السَّحاب) والأزهار المتشابكة، فجمعت بذلك بين الجانب العملي والوظيفة الطَّقسيَّة، والمَيلُ إلى الخُشونة والقوَّة.
الصَّدف
تُعدُّ الأصداف من هدايا الجزية البحريَّة المميَّزة لمملكة ريوكيو، وتتميَّز بصلابة قوامها ولمعانها الطَّبيعي الأخَّاذ، ممَّا جعلها مادة ثمينة لصناعة مشغولات الرَّقش بالصَّدف (الموزاييك الصَّدفي)، حيث كان الحرفيُّون يقطعون الأصداف ويصقلونها، ثمَّ يُزخرفون بها أسطح الأواني والأثاث الخشبي الصُّلب، لتُشكِّل زخارف ونقوشًا بديعة فخمة.
9

(شوفو)، الَّذي أبحر شرقًا بحثًا عن الخلود

أبحرت سفينة التَّتويج بسلاسة وثبات فوق عُباب البحر، بينما وقف شياو هاي يفكر بعمقٍ، وفجأة، اتَّسعت عيناه من الدَّهشة، وصاح بفرحة عارمة: انظروا! يبدو أنَّ هناك جبالًا للأساطير هناك! يا ترى يعيش الناس في تلك الجبال؟

لم يستطع (تشن كان) تمالُك نفسه من الضَّحك وقال: هذا سراب بحري يا شياو هاي، ولكنَّ الحديث عن الجبال في البحر يُذكِّرني بقصَّة ضاربة في القِدم، وما إن سمع الجميع بوجود قصَّة، حتَّى التفُّوا حوله على الفور.

فقال(تشن كان) بنبرة هادئة: كان الإمبراطور تشين شي هوانغ يسعى وراء الخلود الأبدي، فرفع إليه الخيميائي (العرّاف) شوفو رسالة يقول فيها إنَّ هناك ثلاث جبال للأساطير في البحر هي: بنغلاي، وفانغتشانغ، وينغتشو، حيث يقطنُها الخالدون وبها إكسير الحياة، استبشر الإمبراطور تشين خيرًا وفرح فرحًا شديدًا، فأرسل شوفو على رأس آلاف من الفتيان والفتيات، مصحوبين بكنوز لا تُحصى من الذَّهب والفِضَّة وبذور المحاصيل، ليبحروا شرقًا، غير أنَّ (شوفو) ذهب ولم تَعُد له أي أخبار بعد ذلك، ويقول البعض إنَّه وصل إلى اليابان، ونقل إليها تقنيات الزِّراعة المتقدِّمة وصناعة النَّسيج...

معلومة تاريخيَّة: بُذور الصَّداقة العجيبة بين الصِّين واليابان

تنتشر أسطورة إبحار (شوفو) شرقًا على نطاق واسعٍ بين الشَّعبين الصِّيني والياباني، وغدت رابطًا ثقافيًّا هامًّا يجمع بين البلدين.

• زراعة الأَرُزِّ والمحاصيل:

تفيد الرِّوايات بأنَّ (شوفو) نقل إلى اليابان تقنيات زراعة الأَرُزِّ، وأدخل إليها أدوات زراعيَّة مُتطورة وتقنيات ريٍّ حديثة، ممَّا أدَّى إلى زيادة هائلة في إنتاج الغذاء وإنقاذ السُّكَّان من مجاعات تلك الحقبة.

• الحِياكة والنَّسيج:

يُحكى أنَّ (شوفو) جلبَ معه أثناء رحلته تقنيات نسج الحرير، وغزل أقمشة الكتَّان، ومهارات الصَّباغة، ممَّا مكَّن اليابانيين من ارتداء ملابس تجمع بين الدِّفء وجمال المظهر.

• الطِّب والعقاقير:

وفقًا للأساطير المتوارثة، نقل (شوفو) جانبًا من المعارف الطِّبيَّة والصَّيدلانيَّة إلى اليابان، ساعدت السُّكَّان على مكافحة الأمراض وتقوية البِنية الجسديَّة، تاركًا بذلك بصمةً عميقة في تاريخ تطوُّر الطِّب الياباني.

البعثة الرُّومانيَّة القادمة من ديارٍ بعيدة

منذ أن استمع شياو هاي إلى القصَّة الَّتي رواها (تشن كان) في المرَّة الماضية، أصبح ينتهز أيَّ وقت فراغ ليركُض إليه، محاولًا بكلِّ السُّبل أن يجعله يسترسل في الكلام، وفي هذا اليوم، أقبل شياو هاي والابتسامة تعلو وجهه حاملًا ثوبًا أعاد رتقه للتوِّ، ولم يملك إلَّا أنَّ يتنهد بإعجابٍ قائلًا: إنَّ قماش الحرير هذا رائع حقًّا، ملمسه ناعم وانسيابي للغاية.

فردَّ عليه (تشن كان) وعيناه تفيضان بالودِّ: بالتَّأكيد! فالحرير في بلادنا بضاعة ذاع صِيتها في كل أركان الأرض. وفي عهد سُلالة هان الشرقيَّة، كان الحرير سببًا في نُشوء قصَّة فريدة من التَّبادل بين الصِّين والخارج، وجاءت هذه الكلمات لتُلامس شغف شياو هاي تمامًا، فطلب من (تشن كان) بحماسٍ أن يُكمل الرِّواية.

تابع (تشن كان) قائلًا: في ذلك الزَّمان، سمعت إمبراطوريَّة 'دا تشين' (الإمبراطوريَّة الرومانيَّة) القابعة في أقاصِي الغرب، أنَّ هناك مملكة غامضة وثريَّة في الشَّرق، تُنتج حريرًا يفيض بريقًا وألوانًا وبملمسٍ فائق النُّعومة، لدرجةٍ جعلت نُبلاء الرومان قاطبةً يفتنون به، وهكذا، أرسلت الإمبراطوريَّة الرومانيَّة بعثة دبلوماسيَّة قطعت آلاف الأميال، متجهةً صَوب بلاط الهان... واندمج شياو هاي مع الحكاية بكل جوارحه، حتَّى امتلأ خياله بصور مبعوثي الرومان وهم يتأملون الحرير لأوَّل مرَّة وعلامات الذُّهول والدَّهشة تعلو وجوههم.

يا سيِّد تشن، لقد أعَدْتُ رتق ثيابك!

معلومة تاريخيَّة: كيف نشأ الحرير؟

1. ديدان القزِّ تتناول وجبتها الكبرى

تبدأ ديدان القزِّ الصَّغيرة (يرقات القزِّ) في تناول أوراق التُّوت بشراهة ودون توقُّف منذ لحظة ولادتها، وبعد مرور شهر تقريبًا، تصبح أجسادها بيضاء مُمتلئة؛ وتُعدُّ هذه العلامة إشارة واضحة على توقُّفها عن التَّغذية واستعدادها لبدء غزل خيوط الحرير.

2. غزل الخيوط وتكوين الشَّرنقة

عندما تنضج دودة القزِّ، تبحث عن مكان هادئ وتبدأ بنفث خيوطٍ حريريَّة دقيقة من فمها، وتلُف بها نفسها طبقة فوق طبقة، حتَّى تُشكِّل شرنقة بيضاويَّة الشَّكل.

3. غلي الشَّرانق وسحب الحرير

يضع الحرفيُّون الشَّرانق في ماء دافئ لتقسيتها ونقعها، وعندما يلين الصَّمغ الطَّبيعي (السيريسين)، يصبح بالإمكان سحب خيوط الحرير الدَّقيقة من الشَّرنقة، ويُمكن أن يصل طول الخيط المستخرَج من شرنقةٍ واحدةٍ إلى نحو ألف متر.

4. حياكة الحرير البديع

تُرتَّب خيوط الحرير بدقَّة وعناية وتُصفُّ بانتظامٍ على نولِ الحياكة المائل، ومع حركة النَّول، لا يلبث الأمر طويلًا حتَّى تكتمل حياكة أقمشة الحرير السَّاحرة!

أقدم يوميَّات ملاحة بحريَّة

كتاب(سجلَّات الممالك البوذيَّة)

استعاد شياو هاي تركيزه، فلاحظ أنَّ السَّيِّد (تشن كان) يكتب شيئًا ما، فاقترب منه بفضول وسأله: يا سيِّد تشن، ما هذا الَّذي تكتبه كل يوم؟

وضع (تشن كان) فرشاته جانبًا وقال مبتسمًا: هذه يوميَّات ملاحة بحريَّة، أسجِّل فيها كل ما نشاهده ونمرُّ به في طريقنا، وحين أتصفحها في المستقبل، سأشعُر وكأنَّني أقطعُ هذه الرِّحلة مجددًا.

ولما رأى شغف شياو هاي واهتمامه، تابع (تشن كان) قائلًا: إنَّ أوَّل من كتب يوميَّات مِلاحة بحريَّة كان الرَّاهب الجليل (فا شيان) من عهد أسرة جين الشرقيَّة، فعندما تجاوز السِّتين من عمره، وبقلبٍ يفيض بالإخلاص والورع لتعاليم البوذيَّة، عقد العزم وانطلق في رحلة إلى بلاد الهند (تيان تشو) لجلب الكتب المقدَّسة، وقد سبق بذلك المعلِّم (شوان تسانغ) من عهد أسرة تانغ بأكثر من مائتي عامٍ.

وهنا سأله شياو هاي مستغربًا: ولكن يا سيِّد تشن، ألم يذهب المعلِّم فا شيان إلى الهند سيرًا على الأقدام؟ كيف يكون لديه يوميَّات ملاحة بحريَّة؟

● **الانطلاق من تشانغآن**
(شيان بمقاطعة شنشي حاليًا)

من أجل البحث عن التَّعاليم والشَّرائع البوذيَّة النَّقيَّة، انطلق فا شيان مع ثُلة من رفاقه من مدينة تشانغآن، مستهلِّين رحلتهم الطَّويلة والشَّاقة باتجاه بلاد الهند القديمة التماسًا للعلم واليقين.

● **عبور جبل لونغشان**
(القسم الجنوبي من جبال ليوبان حاليًا)

● **الوصول إلى تشانغيه**

مكث فا شيان في تشانغيه نحو خمسة أشهر، حيث التقى بضعة رهبان آخرين وانضمَّ إليهم، وأتمَّ فترة الاعتكاف الصَّيفي (وهي فترة تعبُّد ورياضة روحيَّة يؤديها الرُّهبان خلال موسم الأمطار)، وخلال تلك المدَّة، حظوا برعاية وإعاشة من أهالي المنطقة، ممَّا مكَّنهم من أخذ قسط من الرَّاحة وتنظيم صفوفهم، ورسم مسار رحلتهم اللَّاحقة نحو الغرب.

● **الوصول إلى مملكة تشيان غوي** (منطقة لانتشو بمقاطعة غانسو حاليًا)

● **المرور بمملكة شانشان**
(منطقة جوشيان بشينجيانغ حاليًا)

● **دخول دونهوانغ**

مكث فا شيان ومرافِقوه في دونهوانغ لأكثر من شهرٍ، حيث حظوا بدعم وتبرعات من لي هاو ملك غرب ليانغ (حاكم دونهوانغ)، فاستكملوا ما يلزمهم من المؤن والعَتاد، ثمَّ تابع مسيرته غربًا رُفقة مبعوثين رسميِّين.

● **عبور صحراء تاكلاماكان**

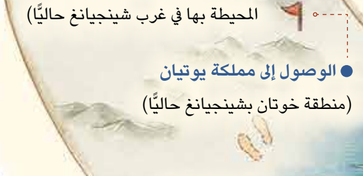

● **الوصول إلى مملكة يوتيان**
(منطقة خوتان بشينجيانغ حاليًا)

● **عبور جبال تسونغلينغ**
(هضبة البامير والسَّلاسل الجبليَّة المحيطة بها في غرب شينجيانغ حاليًا)

● **الوصول أخيرًا إلى بلاد الهند (تيان تشو)**

وطأت أقدام فا شيان أخيرًا أرض مهد البوذيَّة الَّتي طالما تاق إليها في أحلامه، ليُسجِّل في التَّاريخ المدوَّن كأوَّل راهب صيني يعبر جبال تسونغلينغ (البامير) ويصل إلى بلاد الهند، وقد طاف فا شيان في أرجائها دارسًا ومتفقهًا في علوم الدين، ليعود منها بحصاد معرفي وروحي وفير.

● **المرور بمملكة ييبودي**

مرَّ فا شيان بمملكة ييبودي(يُرجح أنَّها جزيرة جاوة أو سومطرة بإندونيسيا حاليًا)، ثمَّ وصل إلى مقاطعة تشانغ غوانغ (منطقة جبل لاوشان بمدينة تشينغ داو في مقاطعة شاندونغ حاليًا).

● **تأليف كتاب** (سجلَّات الممالك البوذيَّة)

صاغ فا شيان مشاهداته في مؤلَّف تاريخي عُرف باسم (سجلَّات الممالك البوذيَّة) ويحتوي هذا الكتاب على يوميَّات المِلاحة البحريَّة الخاصَّة به، ويُعد أقدم وثيقة تاريخيَّة ثمينة باقية في الصِّين توثِّق المِلاحة عبر المحيطات.

ابتسم (تشن كان) بارتياحٍ وقال: إنك تستمع بدقَّة شديدة! لقد واجه الرَّاهب الجليل فا شيان تقلُّبات الطَّقس ونام في العراء، واجتاز أكثر من 30 دولة، واستغرق 14 عامًا حتَّى عاد إلى أرضِ الوطن حاملًا الكتب المقدَّسة، لقد سلك الطَّريق البرِّي في ذهابه، ولكنَّه عاد عبرَ الطَّريق البحري، وحينها فهم شياو هاي الأمر وزالت دهشته.

● **دخول مملكة شيتسيكو (سريلانكا حاليًا)**

غادر فا شيان بلاد الهند واستقلَّ سفينة متجهًا إلى مملكة شيتسيكو (مملكة الأُسود)، حيث أمضى هناك سنتين كاملتين؛ نجح خلالهما في جمع العديد من أمَّهات الكتب والمخطوطات، ثمَّ عقد العزم على العودة إلى أرض الوطنِ عبر الطَّريق البحري.

رحلات جيان جين الست إلى اليابان

إذا كان هناك رهبانٌ أجلاء قد رحلوا غربًا التماسًا لتعاليم الدِّين، فهناك أيضًا من ركب البحار شرقًا لنشرها، مثل المعلِّم جيان جين في عهد أسرة تانغ، تابع السَّيِّد (تشن كان) حديثه إلى شياو هاي قائلًا: في ذلك الزَّمان، وبأمر من البلاط الإمبراطوري الياباني، رجا الرُّهبان المبتعثون اليابانيون المعلِّم جيان جين مرارًا وتكرارًا أن يسافر إلى اليابان لنشر تعاليم البوذيَّة وفقهها، وقد تأثَّر المعلِّم بصدق نياتهم، فلبَّى الدَّعوة وعقد العزمَ على الإبحار شرقًا، بدأ رحلاته وهو في الخمسينيَّات من عمره، وخاض غِمار البحر ستَّ مرَّات في رحلاتٍ امتدَّت لأكثر من 10 سنوات، في المرَّات الخمس الأولى، فواجهته عواصف عاتية وأمواج هائجة، أو اعترضت طريقه عوائق وتدخُّلات بشريَّة، فانتهت كلها بالفشل، ورغم ذلك، ظلَّ المعلِّم راسخ العقيدة لا يتزعزع، حتَّى نجح أخيرًا في الوصول إلى اليابان وهو في السَّادسة والسِّتين من عمره، وهناك قاد تلاميذه لتشييد (معبد توشوداي-جي)، ونقلَ معهم علوم الطِّب، وفنون الخطِّ، والعمارة، والرَّسم من ثقافة عصر تانغ المزدهرة.

لمحة تاريخيَّة: المعلِّم جيان جين ومعبد توشوداي-جي

ينحدر المعلِّم جيان جين من مدينة يانغتشو بمقاطعة جيانغسو، وقد ترهَّب في سنٍّ مبكِّرة، وكان يُلقِي المواعظ والدُّروس الفقهيَّة في معبد دالمينغ بيانغتشو، أمضى في اليابان 10 سنوات، قاد خلالها تلاميذه لتشييد (معبد توشوداي-جي)، الَّذي أصبح المقرَّ الرَّئيسي لمدرسة ريتسو (مدرسة الشَّرائع والالتزام البوذي) في اليابان، هذا المعبد، الَّذي يحمل بوضوح الطِّراز المعماري العريق لعصر أسرة تانغ الذَّهبي، أُدرج ضمن (قائمة التُّراث العالمي) عام 1998، ليغدو مَعلمًا دِينِيًّا وثقافيًّا يحظى بمكانة وتأثير بالغين في اليابان.

(دو هوان): العائد عبر الطَّريق البحري الإفريقي

بعد فترةٍ وجيزةٍ، كان (شياو هاي) لا يزال مستغرقًا في قصَّة المعلِّم (جيان جين)، وعيناه تفيضان بمشاعر الإجلال والدَّهشة، وفجأة، بدا وكأنَّه تذكَّر شيئًا ما، فقطَّب حاجبيه وقال: ولكن، ماذا لو وجد شخص ما نفسه وحيدًا، مشتَّتًا ومشرّدًا في بلاد الغُربة، كيف يكون حاله؟

ابتسم السَّيِّد (تشن كان) وربَتَ على كتف (شياو هاي) قائلًا: لقد حدث هذا بالفعل لأحدهم في التَّاريخ، إنه (دو هوان) من عهد أسرة تانغ، وتجربته تفوق الأساطير إثارة، اتَّسعت عينا (شياو هاي) وسارع بالسُّؤال: وماذا جرى لـ (دو هوان)؟

في السَّنة العاشرة من عصر (تيان باو) لأسرة تانغ (عام 751 ميلادي)، رافق دو هوان الجنرال الشَّهير (غاو شيان تشي) في حملته العسكريَّة نحو الغرب، وهناك خاض الجيش معركة ضارية ضدَّ جيش (الخلافة العباسيَّة) عند نهر طلاس (منطقة تاراز في جنوب شرق كازاخستان حاليًا)، وانتهت المعركة بهزيمة جيش تانغ ووقوع دو هوان في الأَسْر، وخلال فترة أسره، حظي دو هوان بمعاملة كريمة وتقدير بالغ بفضل علمه وثقافته؛ فطاف في أرجاء البلاد، وتعرَّف إلى العلماء والأدباء، وسرعان ما أتقن اللُّغة العربيَّة، بل إنه نقل وعرَّف الحرفيِّين المحلِّيين بـأسرار صناعة الورق الصِّينيَّة، وصف (تشن كان) الأحداث بأسلوب حيوي ومشوِّق جعل شياو هاي يتخيَّل المشهد أمامه.

هل تمكَّن (دو هوان) من العودة إلى وطنه بسلام لاحقًا؟

نعم، فبعد نحو 11 عامًا، أُعفي دو هوان من صفة الأسير واستعاد حرِّيته، وانطلق في رحلة العودة من سواحل مصر على البحر الأحمر، حيث استقلَّ سفينة تجاريَّة وعبرَ بها المحيط الهندي، حتَّى عاد سالـمًا غانمًا إلى أرض دوقيَّة تانغ العظيمة.

مخطَّط تخيُّلي لمراحل وعمليَّة صناعة الورق في عصر أسرة تانغ

دو هوان

مؤرِّخ ومسافر صيني يُعدُّ أوَّل من زار العالم الإسلامي وكتب عنه مشاهداته.

لمحة تاريخيَّة:
السرُّ العجيب لصناعة الورق في العالم القديم

تُعدُّ صناعة الورق واحدة من الاختراعات الأربعة العظيمة للصِّين القديمة، ففي عهد أسرة هان الغربيَّة، استوعب النَّاس الطُّرق الأساسيَّة لهذه الصناعة ، وفي عهد أسرة هان الشرقيَّة، أحدث العالم تساي لون طفرة كبرى بتطوير هذه الصَّناعة؛ حيث بدأ في استخدام مواد أوليَّة رخيصة ومتوفِّرة بكثرة مثل لحاء الشَّجر، وبقايا القِنَّبِ، وخِرق القماش البالية، وشباك الصَّيد القديمة، أدَّى هذا التَّطوير إلى خفض تكلفة إنتاج الورق بشكلٍ هائل ليحلَّ الورق تدريجيًّا محل ألواح الخيزُران والحرير ويصبح مادة الكتابة الأكثر شيوعًا ومع حلول عصر أسرة تانغ، شهدت هذه الصِّناعة ابتكارًا وتجديدًا إضافيًّا؛ حيث بدأ النَّاس في تجربة استخدام الخَيزران كمادَّة أساسيَّة لإنتاج ورق الخيزُران.

الضُّيوف القادمون عبرَ البحر

في المساء، انتشرت الغيوم والشَّفق في الأفق وعلى سطح البحر، اتَّكأ شياو هاي على السُّور، وتذكَّر القصص الَّتي سمعها من قبل، ثمَّ سأل بفضول: هل كان هناك أشخاص من دول أخرى يأتون إلى الصِّين في عهد أسرة تانغ؟

أجابه (تشن كان): بالتَّأكيد! كان عصر أسرة تانغ مزدهرًا اقتصاديًّا ومنفتحًا ثقافيًّا، وجاء الكثير من الطُّلاب المغتربين لتعلم التِّقنيات والثَّقافة، ومن بينهم طالب ياباني يدعى آبي نو ناكامارو، جاء عبر البحر مع البعثة اليابانيَّة.

ولشدة إعجابه بالحضارة الصِّينيَّة، اتَّخذ لنفسه اسمًا صينيًّا هو تشاو هينغ، وتفوق في الاختبارات الإمبراطوريَّة ليصبح مسؤولًا في البلاط وحظي بتقديرٍ كبير.

كان تشاو هينغ واسع المعرفة وذا شعبيَّة كبيرة، وكان يجالس الأدباء والشُّعراء لمناقشة الشِّعر، وكان الشَّاعران العظيمان لي باي ووانغ وي من أصدقائه المقربين.

وعندما بلغ الخمسين من عمره، اشتدَّ به الحنين إلى وطنه، فقرَّر العودة إلى اليابان بحرًا مع البعثة، بينما كانت السَّفينة تُبحر، هبَّت فجأة عاصفة هوجاء...

ورغم تحطُّم السَّفينة وسقوط الكثير من الضحايا، إلَّا أنَّ تشاو هينغ نجا بأعجوبة، وبعد رحلة شاقَّة مليئة بالمخاطر، تمكَّن من العودة إلى شيان، وعاش بقية حياته في بلاد تانغ.

ماذا حدث بعد أن واجه تشاو هنغ العاصفة؟

بينما كان شياو هاي يستمع بإنصاتٍ شديدٍ، هبَّت فجأة عاصفة هوجاء، وبدأت سفينة البعثة الإمبراطوريَّة تهتزُّ بقوة...

في ذلك الوقت، انتشرت شائعات عن غرق تشاو هينغ في البحر، وعندما سمع لي باي الخبر، حزن حزنًا شديدًا، وكتب قصيدة خصِّيصًا ليُرثيه ويعبِّر عن ألمه.

البُكاء على الوزير تشاو هينغ

لـلـشـَّاعـر: لـي بـاي (عـصـر أسـرة تـانـغ)

غادر الوزير الياباني تشاو العاصمة الإمبراطوريَّة، مُبحرًا بشراعٍ وحيد يطوف حول جُزر الخالدين.

لكنَّ القمر المضيء لم يعد، وغرق في أعماق البحر الأزرق، وباتت السُّحب البيضاء تكسو جبال كوانغ بألوان الحزن.

تسرُّب المياه إلى مقصورات السَّفينة المعزولة

فجأة، أصدرت سفينة البعثة الإمبراطوريَّة صريرًا حادًّا، وتأرجح الصَّاري الرَّئيس بقوة تحت وطأة الرِّياح العاتية، تمسَّك المسؤول عن المِلاحة بمسند الدَّفَّة بكل قوته، وصرخ بأعلى صوته: أنزِلوا نصف الشِّراع! بسرعة! حافظوا على توازن السَّفينة!

وفي داخل المقصورة، تسبَّب الاهتزاز الشَّديد في فقدان (تشن كان) لتوازنه، فأرسل على الفورِ في طلب المسؤول عن المِلاحة، جاء الرَّجل بوجهٍ شاحبٍ من الخوف وقال: سيِّدي، الأمواج عاتية جدًّا، وقد تشقَّقت ألواح السَّفينة، وأخشى أنَّ المياه بدأت تتدفَّق إلى الدَّاخل!

أمره تشين كان بحزم: تفقَّد الأمر فورًا، وابدأوا بالإصلاح بكل قوتكم!

وبعد قليل، ركض أحد البحَّارة مذعورًا وأبلغهم: لقد تسرَّبت المياه إلى مقصورتين من مقصورات السَّفينة!

اتَّخذ المسؤول عن المِلاحة قرارًا سريعًا وصاح: لينقسم الجميع إلى مجموعات! سدُّوا منافذ التَّسرُّب أوَّلًا، ثمَّ اشرعوا في تصريف المياه!

وبعد جهودٍ مضنيةٍ وكفاح مرير، جرى السَّيطرة على الخطر أخيرًا، ومرَّت الأزمة بسلام دون خسائر!

تتبَّع البحَّارة صوت الماء حتَّى عثروا على مكان التَّسرُّب، وسارعوا إلى استخدام الخِرق البالية والقطن القديم لسدِّ الشُّقوق، ممَّا ساعد على إبطاء تدفُّق المياه إلى داخل المقصورة.

يا سيِّد تشين، الرِّحلات البحريَّة خطيرة للغاية! لحسن الحظِّ، توجد حجرات محكمة الإغلاق.

يتميَّز تصميم المقصورات المعزولة بذكاءٍ شديد: فإذا تسرَّبت المياه إلى إحدى المقصورات، لا تتأثَّر بقيَّة مقصورات السَّفينة بذلك.

وفي تلك الأثناء، كان ثلاثة من عمال الدَّفَّة يبذلون قصارى جهدهم للتحكُّم في دفَّة السَّفينة، محاولين الحفاظ على توازنها، مع البقاء في كامل الاستعداد لاتِّباع توجيهات المسؤول عن المِلاحة لتعديل مسار الإبحار في أيِّ لحظة.

وكان حرفيُّو سدِّ الشُّقوق (نيان جيانغ) يستخدمون مطارق خشبيَّة لدقِّ معجون السَّدِّ (المكوَّن من ألياف الرَّامي، وزيت التُّونْغ، والجير) داخل الشُّقوق، مع تثبيت المسامير في المواقع الحيويَّة لزيادة تحصين السَّفينة ودعمها.

(شو جينغ) مبعوثًا إلى كوريا

رغم زوال الخطر، كان شياو هاي لا يزال يشعر ببعض الخوف، فقال (تشن كان) بهدوء: الرِّياح والأمواج من طبائع البحر، وقد ترك لنا الأجداد حكمة بالغة لمواجهتها، والمقصورات المعزولة هي أحد هذه الاختراعات العظيمة، وبالإضافة إلى براعة بناء السُّفن، كانت تقنياتنا الملاحيَّة متطوِّرة للغاية؛ فأدوات مثل البوصلة والخرائط البحريَّة قدَّمت خدمات جليلة منذ عصر أسرة سونغ.

وتابع (تشن كان) حديثه قائلًا: في عهد الإمبراطور شوان خي، واجه المبعوث شو جينغ مخاطر مرعبة عندما أُرسل في مهمَّة رسميَّة إلى مملكة كوريا (شبه الجزيرة الكوريَّة الحاليَّة)، حيث تعرَّض أسطولهم لعاصفة هوجاء في عرض البحر، لدرجة أنَّ الأمواج العاتية حطَّمت دفَّة السَّفينة تمامًا، ولحسن الحظِّ، كانت السُّفن متينة للغاية والبحَّارة يتمتَّعون بمهارة ملاحيَّة فائقة، ممَّا مكَّنهم من العودة بسلام في النِهاية، وقد دوَّن شو جينغ كل هذه الأحداث بالتَّفصيل في كتابه (سِجِلٌ مُصوَّر لرحلة المبعوث إلى كوريا في عهد شوان خي).

معلومة تاريخيَّة صغيرة: سُفن الآلهة تقطع آلاف الأميال

كان أسطول شو جينغ ضخمًا للغاية، ويتكوَّن من سفينتين من طراز سفينة الآلهة (شين جو) وَسِتُّ سُفن من طراز سفينة الضُّيوف (كي جو).

- سُفن الآلهة: هي سُفن دبلوماسيَّة رسميَّة أشرفت حكومة أسرة سونغ على بنائها، وتميَّزت بحجمها الهائل وزخارفها الفاخرة،
- سُفن الضُّيوف: هي سُفن تجاريَّة مدنيَّة استعانت بها الحكومة، ورغم أنَّها أصغر حجمًا من سُفن الآلهة، إلَّا أنَّها كانت متقنة الصُّنع بشكلٍ ممتاز.

وفقًا لما ورد في كتاب شو جينغ، كان تصميم سُفن الضُّيوف دقيقًا ومنظمًا:

- المقصورة الأماميَّة: تحتوي على الموقد وخزان المياه، ويقع أسفلها سكن الجنود.
- المقصورة الوسطى: تنقسم إلى أربعة أقسام مستقلَّة.
- المقصورة الخلفيَّة: مخصَّصة لإقامة المسؤولين، وتتميَّز بأسقفها المزيَّنة بالنُّقوش والرُّسوم، ويعلوها غطاء من الخَيزُران لا يُفتح إلَّا عند هطول الأمطار.

أمَّا سُفن الآلهة فقد شُيِّدت بتصميم مشابه تمامًا لسُفن الضُّيوف، لكن حجمها كان يعادل ثلاثة أضعافها، فكانت تُبحر فوق الأمواج وكأنَّها جبال عائمة، تُثير دهشة وإعجاب كل من يراها.

ماركو بولو يدوِّن عجائب الشَّرق

كان هناك سؤال يشغل بال شياو هاي، فلم يطق صبرًا وسأل (تشن كان): سيِّدي تشن، إنَّ تقنياتنا الملاحيَّة مُذهلة للغاية، فهل تمتلك الدُّول الأخرى مثلها؟

ابتسم (تشن كان) وأجابه بهدوء: بالتَّأكيد، فلكلِّ دولة مواطن قوتها، إنَّ التَّبادل بين الصِّين والعالم الخارجي مستمر منذ القِدم، وثقافتنا وتقنياتنا انتشرت عبر هذه الرَّوابط، هناك رجل أجنبي يُدعى ماركو بولو، وُلد في عائلة من تُجَّار البندقيَّة، ونشأ وهو يسمع عن أسرار الشَّرق وثرواته، وعندما بلغ من العُمر سبعة عشر عامًا، انطلق في رحلته نحو الشَّرق مدفوعًا بالفضول والشَّغف برفقة والده وعمه، ووصل بعد أربع سنوات إلى العاصمة الصَّيفيَّة لأسرة يوان (شانغدو). وبعد ذلك، تجوَّل في أماكن كثيرة، وترك بصماته في العواصم المزدهرة ومناطق جيانغنان السَّاحرة، ويُقال إنه بعد عودته إلى وطنه، كان يروي لكل من يقابله عجائب الشَّرق وحكمته، ممَّا أثار شوق الكثيرين لزيارته.

أومأ شياو هاي برأسه مفكِّرًا وقال: لقد فهمت، بفضل أشخاص مثل ماركو بولو، يُمكننا تعزيز التَّفاهم بيننا وبين الدُّول الأخرى.

معلومة تاريخيَّة صغيرة: (رحلات ماركو بولو)

خلال الأعوام السَّبعة عشر الَّتي عاشها في الصِّين، وصلَت خُطى ماركو بولو إلى مختلف أنحاء البلاد من شمالها إلى جنوبها، وقد أدهشته أشياء كثيرة لم يرها من قبل، مثل: صناعة الخزف الفاخر من الطِّين، وصُنع الورق من لحاء الشَّجر لطباعة العملات الورقيَّة، واستخدام الحجارة السَّوداء (الفحم) كوقود، بالإضافة إلى شبكة البريد السَّريعة الَّتي اعتمدت على محطَّات الخيول.

كل هذه العجائب الَّتي رآها ماركو بولو رواها شفهيًّا، ودوَّنها آخرون في كتابه الشهير (رحلات ماركو بولو)، ليصبحَ هذا الكتاب بمثابة نافذة فَتحت أعين أوروبا على سحر الشَّرق.

الملَّاح الشَّعبي وانغ دا يوان

قال شياو هاي وعيناه تملأهما اللَّهفة: أريد في المستقبل أن أكون مثل ماركو بولو، فأُسافر إلى مختلف بقاع الأرض خلف البحار، وأُؤلف كتابًا عن مغامرات الإبحار الممتعة!

أجابه (تشن كان) مبتسمًا: سبقك إلى ذلك رجلٌ في عهد يوان اسمه وانغ دايوان، وهو أسطورة رحَّالة من عامَّة الشَّعب، وُلد في مدينة نانتشانغ المزدحمة بالسُّفن التِّجارية، وكان منذ صغره شغوفًا بالبحر، وفي سنِّ التَّاسعة عشرة، انضمَّ إلى طاقم سفينة تجاريَّة وانطلق في أولى رحلاته، بينما كان الآخرون يتاجرون بالخزف والحرير، كان يهتم بعاداتِ الشُّعوب ويسجِّل غرائبهم، فكتب في كتابه (سجلَّات الجُزر البربريَّة): يوجد بلد يُدعى (بلد الرؤوس المربَّعة)، حيث يضغطون رؤوس الأطفال بالألواحِ الخشبيَّة منذ الصِّغر لتصبح مربَّعة! وفي مكانٍ آخر، يحلق الرِّجال والنِّساء رؤوسهم، ويأكلون الموز، ويغلون ماء البحر لاستخراجِ الملح، ويتبادلونه بالطَّعام.

انغمس شياو هاي في الحكايات، وكأنَّه يُرافق وانغ دايوان في رحلاته، يكتشف عجائب الأمم البعيدة.

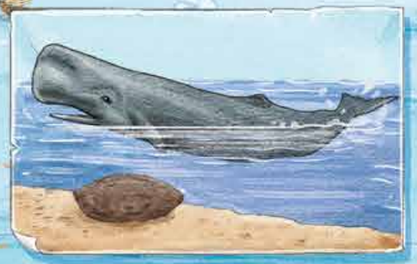

● جزيرة التِّنين (جزيرة بريوس الحاليَّة بالقربِ من سُومطرة، إندونيسيا)

هذه جزيرة صغيرة مربَّعة الشَّكل ومسطَّحة، وهي جزيرة مهجورة لا يعيش فيها أحد، واكتسبت اسمها من إنتاجها لعنبر الحوت (الَّذي كان يسميه الصِّينيون القدماء لعاب التِّنين).

في الأيام المشمسة، تسبحُ مجموعات من حيتان العنبر في المياه المحيطة بالجزيرة وهي تنفث الماء وتمرح، وتطفو إفرازات هذه الحيتان على سطح البحر لتشكِّل نوعًا نادرًا وثمينًا من العطور وهو (العنبر).

ويأتي الصَّيادون من المناطق المجاورة على متن قواربهم الصَّغيرة (الكانو) لجمع هذا العنبر واستخدامه في التِّجارة والمقايضة.

● مانيلَّا (يُرجح أنَّها تقع في شرق إفريقيا الحاليَّة أو شمال أستراليا)

وفقًا لما ورد في كتاب (سجلِّ جُزر البرابرة)، تنمو في هذه الجزيرة أشجار كثيفة، وتحيط بها مياه البحر من كل جانب، وتتراكم على شواطئها كميات هائلة من محار الأصداف حتَّى شكَّلت ما يشبه التِّلال.

ويعيشُ هناك نوع عجيب من الطُّيور (وصفه وانغ دا يوان بطائر الكُرْكي الأسطوري)، ما إن يسمع تصفيق البشر حتَّى يفرد جناحيه ويبدأ في الرَّقص، كما تنتشر في هذه البلاد الجِمال، حيث يستخدمها السُّكَّان المحليُّون في نقل وحمل الأمتعة الثَّقيلة.

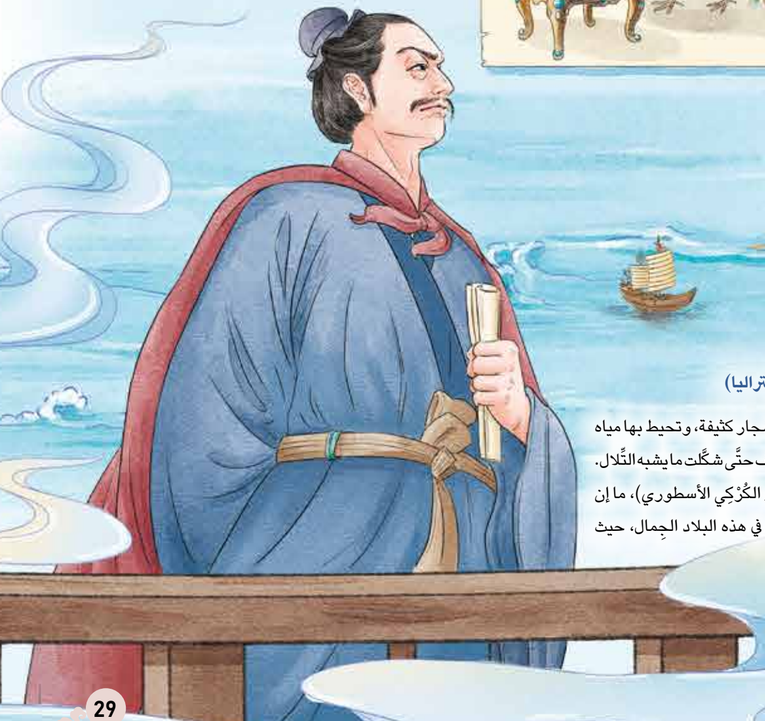

● تشن لا (كمبوديا الحاليَّة)

شاهد وانغ دا يوان هناك مظاهر الحياة الفاخرة الَّتي عاشها النُّبلاء؛ حيث ذكر في سجلَّاته أنَّ جدران القصور كانت مزيَّنة بالذَّهبِ الخالص، بينما رُصِّعت الكراسي بالجواهر والأحجار الكريمة، وتتميَّز بلاد تشن لا بمناخها الدَّافئ وأراضيها الزراعيَّة الخصبة، وتجود بالعديد من الخيرات الثَّمينة مثل قرونِ وحيد القرن وريشِ الطَّاووس.

معلومة تاريخيَّة صغيرة:
مغامرات وانغ دا يوان العجيبة خلف البحار

تُعدُّ حياة وانغ دا يوان مليئة بالقصص الأسطوريَّة، وقد دوَّن الكثير من مغامراته ومشاهداته العجيبة في كتاب رحلاته الشَّهير (سجلُّ جُزر البرابرة)، والَّذي تغيَّر اسمه في عصر أسرة تشينغ ليصبح (موجَزَ سجلِّ جُزر البرابرة).

سُفن الكنوز (باو تشوان)

تُعرف بـ (السُّفن الحاملة للكنوز)، وكانت تُستخدم بشكلٍ أساسي في نقل البضائع التِّجارية، والقرابين والهدايا المتبادلة بين الدُّول، والمنح الإمبراطوريَّة، وكانت سُفن الكنوز الضَّخمة تُشكِّل السُّفن القياديَّة لأسطول جينغ خه، حيث خُصِّصت لإقامة قادة الأسطول، وأعضاء البعثات الدِّبلوماسيَّة، والمبعوثين الأجانب.

أسطول جينغ خه الرَّئيسي

إلى جانب سُفن الكنوز القياديَّة، كان الأسطول يضمُّ الأنواع التَّالية:

سُفن القيادة الحربيَّة (تشَان زو تشوان)

هي سُفن حربيَّة رئيسيَّة ضخمة كانت تُستخدم لتأمين الحراسة والأسطول، وخُصِّصت لإقامة القادة العسكريِّين والمستشارين والمساعدين.

سُفن الخيول (ما تشوان)

هي سُفن حربيَّة أصغر حجمًا من سُفن القيادة الحربيَّة، وكانت مهمَّتها الأساسيَّة تتركَّز في تأمين الحراسة لأسطول السُّفن وخوض المعارك البحريَّة.

سُفن المؤن (يانغ تشوان)

هي السُّفن المسؤولة عن نقل الأغذية والموادِّ اللُّوجستيَّة، لضمان حصول الأسطول على الإمدادات الكافية طوال مسار الرِّحلة.

سُفن الخيول (ما تشوان)

تُعرف بسُفن الخيول السَّريعة، كانت تُستخدم بشكل أساسي لنقل خُيول الجيش والمعدَّات العسكريَّة، تتميَّز بسرعتها العالية ونقل المعلومات، والمشاركة في القِتال.

سُفن المياه (شوي تشوان)

هي سُفن مساعدة مخصَّصة لتخزين ونقل المياه العذبة لضمان احتياجات الأسطول.

فرقة الدَّعم اللُّوجستي

قارب النَّقل السَّاحلي المتوسِّط (دا با لو - ذو الثَّمانيَّة مجاديف الكبيرة)

قارب النَّقل السَّاحلي المتوسط (أر با لو - ذو الثَّمانيَّة مجاديف)

قارب النَّقل السَّاحلي الصَّغير (ليو لو - ذو الستة مجاديف)

تشنغ خه ورحلاته السَّبع إلى الغرب: ملحمة بحريَّة عظيمة

قال شياو هاي: أمامنا ميناء سلالتنا مينغ!، فهرع البحَّارة إلى سطح السَّفينة، وخرج (تشن كان) من المقصورة، وهو يطلُّ على وطنه بعد غياب، استعاد ذكريات الملحمة البحريَّة لتشينغ خه، الَّذي قاد أكثر من 200 سفينة وعلى متنها 20 ألف جندي وحرفيٍّ، في سبع رحلات إلى الغرب، تألَّف الأسطول من سُفنِ كنزٍ ضخمة، وسُفن حربيَّة، وسُفن خيول، وسُفن مُؤن، وسُفن قيادة، وسُفن مياه، مع توزيع دقيق للأدوار: مبعوثون، جنود، ملَّاحون، طُهاة، مترجمون، موردون، وحرفيُّون مَهرة.

حَمل الأسطول أجود الحرير، والخزف الرَّسمي، والكتب الكلاسيكيَّة، والأعشاب الطِّبيَّة، والشَّاي، والورنيش، بالإضافة إلى الذَّهب والفِضَّة، وزار أكثر من 30 دولة ومنطقة.

رحلة الكِيلِين عبر البحار

قال (تشن كان) بحماسة: كان أسطول تشنغ خه، أينما حلَّ، يوزِّع الهدايا الثَّمينة كرمًا، تعبيرًا عن الصَّداقة وإظهارًا لهيبة مينغ، كما كان يتاجر مع السُّكَّان المحلِّيِّين ويجلب كنوزًا نادرة كالزَّرافات (الَّتي سُمِّيت (فولو) أي الظِّباء المزركشة)، والمرجان، والجواهر، وحيوان الكِيلِين الميمون.

فسأل شياو هاي: ما هو الكِيلِين يا سيِّدي؟

أجاب (تشن كان): حيوانٌ نادر طويل الرَّقبة. عندما وصل الأسطول إلى منطقة مالِيندي (ساحل كينيا اليوم)، سمعَ السُّكَّان يُطلقون عليه اسم كيرين (أي زرافة بالصوماليَّة)، فظنَّ المبعوثون أنَّه الكِيلِين الأسطوري، وقدَّموه لإمبراطور الصِّين هديَّة، لاحقًا أرسلت مملكة بانغالا (بنغلاديش والبنغال الغربي اليوم) أيضًا وفدًا لتقديم الكِيلِين، فأضاف ذلك فصلًا رائعًا من التَّبادل الحضاري بين الصِّين والعالم.

بعد أيامٍ من الإبحار تحت نسمات البحر اللَّطيفة، عادت بعثة التَّنصيب بقيادة (تشن كان) إلى ميناء مينغ، بعد أن أنجزت مهمَّتها في مملكة ريوكيو، مسجِّلةً فصلًا جديدًا في علاقات الصَّداقة بين الطَّرفين.

منذ القِدم، أبحر عدد لا يُحصى من الملَّاحين، متَّخذين من الحياة سفينةً ومن الإيمان شراعًا، شاقِّين طرقًا بحريَّة تلاقت عليها الحضارات. وروحهم الملاحيَّة الَّتي لا تلين، كمنارةٍ لا تنطفئ، تُواصل إلهام الأجيال المتعاقبة للإبحار قُدمًا نحو الآفاق.

روَّادٌ يمدُّون جسور التَّواصل بين الشَّرق والغرب

دبلوماسي ومستكشف بارز من عهد أسرة هان الغربيَّة، أُرسِل مرَّتين بأمر من الإمبراطور (وو) إلى منطقة شيبو آسيا الوسطى، ففتح طريق الحرير الشَّهير، ومهَّد الطَّريق للتَّواصل بين الصِّين وآسيا الوسطى والغرب وأوروبا، وأسهم في التَّبادل السِّياسي والاقتصادي والثَّقافي بين الشَّرق والغرب.

قائد عسكري ودبلوماسي بارز من عهد أسرة هان الشرقيَّة، والابن الأصغر للمؤرِّخ بان بياو، ترك مهنة الكِتابة والتحق بالجيش، وقاد حملات إلى شيبو (آسيا الوسطى)، وهَزم تحالُف شيونغنو والقبائل المحليَّة، واستعاد سيطرة هان على المنطقة، ولُقِّب بـماركيز دينغيوان، قضى 31 عامًا في إدارة شيبو، وأعاد فتح طريق الحرير بعد انقطاعه، وطوَّر التَّبادل التِّجاري والثَّقافي بين الصِّين والغرب.

راهبٌ بوذي شهير من عهد أسرة تانغ، ورائد ثقافي على طريق الحرير البحري، وُلد في جينان (شاندونغ)، وفي عام 671م أبحر من قوانغتشو إلى الهند، مؤسسًا (طريق طلب القانون بحرًا) وهو طريق مختلِف عن طريق شوان زانغ البَرِّيُّ، جاب أكثر من 30 دولة على مدى 20 عامًا، وعاد بحوالي 400 مخطوطة سنسكريتيَّة بوذيَّة.

ملَّاح ودبلوماسي شهير من عهد أسرة سوين، في العام 607م، أُرسِل في مهمَّة دبلوماسيَّة إلى مملكة تشيتو (في جنوب شبه الجزيرة المالايويَّة وسومطرة الحاليَّة)، إيذانًا ببدء العلاقات الرَّسميَّة بين الطَّرفين، ممَّا أدَّى إلى تبادل البعثات الدِّبلوماسيَّة وتحريك التَّبادل السِّياسي والتِّجاري مع دول بحر الصِّين الجنوبي، وتعزيز طريق الحرير البحري.

دبلوماسي وسياسي بارز في عَهْدَي سوي وتانغ، في عهد الإمبراطور يانغ من سوي، كُلف بإدارة شيبو (آسيا الوسطى)، وأقام في تشانغيه ليُشرف على التِّجارة الحدوديَّة، وجمع المعلومات عن المنطقة، فألَّف كتاب (وصف شيبو المصوَّر)، الَّذي وثَّق بالتَّفصيل الطُّرق الشَّماليَّة والوسطى والجنوبيَّة المؤديَّة إلى شيبو انطلاقًا من دونهوانغ، ممَّا عزَّز التَّبادل التِّجاري بين سوي وشيبو.

راهب بوذي شهير من عهد تانغ، وأحد أبرز ممثِّلي التَّبادل الثَّقافي على طريق الحرير، سار غربًا على طريق الحرير البرِّي طلبًا للبوذيَّة، قاطعًا أكثر من 100 دولة ومنطقة على مدى 17 عامًا، نشر الثَّقافة الصِّينيَّة والتَّعاليم البوذيَّة، وأعاد العديد من النُّصوص المقدَّسة، ممَّا أسهم في التَّبادل الثَّقافي بين الصِّين والعالم، وهو النَّموذج التَّاريخي للرَّاهب تانغ في رواية (رحلة إلى الغرب).

ملَّاح ودبلوماسي من عهد تانغ، في عام 785م، أرسله الإمبراطور دي تسونغ على رأس بعثة دبلوماسيَّة بحريَّة أبحرت من قوانغتشو، عبر بحر الصِّين الجنوبي ومضيق ملقا، على طول المحيط الهندي حتَّى الخلافة العباسيَّة في بغداد، كانت هذه أوَّل بعثة بحريَّة رسميَّة في عهد تانغ، وسبقت رحلات تشنغ خه بـ620 عامًا، وساهمت في تعزيز التَّبادل البحري بين الشَّرق والغرب.

دبلوماسي وملَّاح من عهد يوان، أرسله الإمبراطور قوبلاي خان لقيادة بعثات بحريَّة متعدِّدة إلى بحر الصِّين الجنوبي والمحيط الهندي. أسهمت جهوده الدِّبلوماسيَّة في إرسال العديد من الدُّول بعثاتها إلى الصِّين، وعزَّزت التَّبادل السِّياسي والتِّجاري بين يوان وجنوب آسيا وجنوب شرق آسيا، وأسهمت في ازدهار طريق الحرير البحري.

سِجِلَّاتُ الأُدباء الصِّينِيِّين والأجانب

تَعزِيزُ الثَّقافةِ البحريَّةِ ونشرُ الحضَارة الصِّينيَّة

978-614-495-730-1

9 786144 957301 >

DIGITAL FUTURE
المستقبل الرقمي